

تجليات الاغتراب في رواية : سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج

أخواب فطيمة الزهراء
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب واللغات – جامعة غرداية
fatimakhennab17@gmail.com

ملخص:

إن الاغتراب ظاهرة لصيقة بالوجود الإنساني و ملازمة له، لذلك نلاحظ انعكاسها في الأعمال الأدبية و في الرواية تحديدا لما تحمله من خصوصية، فهي أكثر صلة بظاهرة الاغتراب و أفصح في التعبير عنها و أنق في تصويرها، و يأتي مقالنا هذا الموسوم بـ: «تجليات الاغتراب في رواية سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج» ليحاول معرفة ما الذي تريد الرواية أن تقول في خطابها الروائي عن أسباب و دوافع الاغتراب و نتائجه؟ و بالطبع هذا لا يأتي على شكل خطاب سياسي أو اجتماعي مباشر، و إنما من خلال بنية روائية قادرة على تجاوز هذا الخاص.

Résumé

L'aliénation est un phénomène attaché à l'existence humaine et qui l'accompagne. De ce fait, nous remarquons ses répercussions dans les travaux littéraires : et plus précisément dans le roman au vu des ses spécificités.

Celui -ci est plus attaché au phénomène de L'aliénation , l'exprime avec plus d'éloquence et la matérialise plus précisément.

Notre présent article intitulé « manifestations de L'aliénation dans le roman SONATE des fantômes de Jérusalem de wassini aiaaraj ».

pour tenter de déterminer l'objectif que cherche le roman à faire parvenir :le romancier aborde les causes et motivations de L'aliénation et ses conséquences bien sur , ceci n' intervient pas sous forme d' un discours politique ou social directs, mais par une construction romancière pavant outre cette spécificité.

إن الاغتراب مشكلة عصرية متجددة لها أثارها الضخمة على المجتمعات الإنسانية باختلافها ، لذا فان هناك حاجة ملحة إلى مناقشة هذا المفهوم، والتعرض له من خلال الأدب عامة و السرد منه خاصة لما تحمله ظاهرة الاغتراب من انتشار واسع فظاهرة لاغتراب لصيقة بالوجود الإنساني وملازمة له، ولذلك نلاحظ انعكاسها في الأعمال الأدبية وفي الرواية تحديدا لما تحمله من خصوصية إذا أنها تضل ميدنا رحبا لهواجس الإنسان و ترجمانا للإحساس والعواطف و الأفكار. كما أنها تبقى أكثر قوة من الأعمال الأدبية الأخرى على عكس التجارب الإنسانية الحزينة والمؤلمة بشكل صادق.

ولأن الرواية هي تجسيد لاستجابة إنسانية لرؤية العالم، فقد كانت أكثر صلة بظاهرة الاغتراب وأفصح في التعبير عنها و أدق في تصويرها و الدارس للرواية الحديثة و المعاصرة عامة يصادف فيضا من مشاعر الاغتراب بمختلف أنماطه.

ففيما تجلى الاغتراب في رواية سوناتا لأشباح القدس ؟

يعد الاغتراب ظاهرة بارزة لها حضورها في حياتنا، المعاصرة وفي أدبنا العربي الحديث عامة و الرواية خاصة، فقد ظهرت تجليات هذا الاغتراب في صور وأشكال مختلفة إذ يطرح هذا المكون عديدا من الإشكاليات أهمها غموض المصطلح فهو ليس ظاهرة جديدة كلية، وإنما هو ظاهرة عرفت في مختلف المجتمعات و عبر أزمان مختلفة، حيث وظف هذا المصطلح في مجالات علوم متنوعة كالفلسفة وعلمي النفس و الاجتماع ، و على الرغم من أنه قديم قدم الإنسان إلا انه من الصعوبة العثور على تعريف موحد له بين الباحثين و الدارسين و هناك لتعدد معانيه، حيث اجمعوا على أن هيجل (1770-1831) هو أول من استخدم مصطلح الاغتراب استخداما علميا منهجيا مقصودا ومنفصلا بل ونظر له في فينومولوجيا الروح عام 1870 و استخدمه من قبله و بعده كثيرون من أدباء وفلاسفة و متخصصين في مختلف العلوم السلوكية (1).

أكد هيجل على مفهوم الحرية كتحديد لماهية الإنسان التي تعني المصالحة بين الإنسان ومحيطه، وكذلك بينه وبين الطبيعة كما تكلم عن انفصال الإنسان عن ثقافته، فالثقافة عنده هي حياة للروح لما لها من أهمية في تحديد موقع الفرد من ذاته.

كما يعتبر هيجل أول من وظف مفهوم الاغتراب توظيفا ذا طابع مزدوج يشير في استخدامه إلى سلب الحرية من جهة وإلى سلب المعرفة من جهة أخرى

وذلك عندما تحدث عن الوعي قائلا: " فالروح المغترية هي التي يكون وعيها ذا طبيعة منقسمة و مزدوجة ,ومجرد كائن متضاد "(2) و يرتبط الاغتراب عنده بنقده للديانات خاصة المسيحية و اليهودية. ونجد هذه الصياغة لمفهوم الاغتراب في مؤلفات الشباب، فالديانة عنده تؤدي إلى تغريب الإنسان عن ذاته بعكس الصورة المثالية لديانة شعب اليونان "وهي الحقبة التي كان يعيش فيها الفرد والجماعة في حالة اتحاد كامل ووحدة مباشرة لا انفصال فيها بين ما يمكن أن يسمى بالفرد و الكلية"(3).

وقد تحدث هيجل عن الاغتراب في فلسفة الواقع بجانبه السلبي والايجابي و ركز في مفهوم الاغتراب كعملية يفقد فيها الإنسان جزءا من ذاته في الوجود الخارجي، وفي هذا فقد إما أن تعثر الذات على نفسها في العالم الذي أنتجته فتتكامل مع ذاتها، وإما أن يكون هذا العالم الذي أنتجته غريبا عليها، لا ينتمي لها فيحدث الاغتراب .

أما ماركس فقد استمد مفهومه للاغتراب من هيجل لكنه يمدّه بمعنى خاص به، فالاغتراب عند ماركس حالة سلبية، مطلوب نقضها و القضاء عليها لأن الإنسان يفقد ذاته فيها، وفيما كان موقف هيجل من الاغتراب نظري فإن موقف ماركس منه عملي، فماركس يعد الاغتراب الاقتصادي أصل لجميع أنواع الاغتراب الأخرى و يتخذ المفهوم عنده معنى أعمق وهو "الأكثر شيوعا وتأثيرا في الفكر المعاصر من أي مفهوم آخر، وربما يعود ذلك لبساطة ما يطرحه وإلى ارتباطه بالواقع المادي المباشر خاصة و أنه سيوظفه في النواحي الاقتصادية"(4) فقط ربط الاغتراب بالعمل، و تموضع الإنسان بالنسبة له، فالإنسان ينتج عمل لكنه يصير عبد له؛ بمعنى أنه يشعر بالغربة عما تنتجه يده "فلا تعترف الروح بعملها من جملة ما صنعت من أعمال وتعتبر إنتاجها الشخصي غريبا عنها"(5)

فالاغتراب إذن نتيجة طبيعية لعملية الإنتاج حيث يغترب الإنسان عما يقوم بصنعه بيده و يغترب عن كيانه و ذاته، فهو ينتج من أجل رب العمل بأجر زهيد، وهذا الاغتراب في رأي ماركس نما وتفاقم بنمو وتقدم وسائل الإنتاج الرأسمالية، لأن اغتراب العمل وصل ذروته في المجتمع الرأسمالي و أن الطبقة العاملة هي الأكثر اغترابا "إن رأس المال هو السلطة المستلبة للإنسانية المرتفعة فوق الناس كسلطة غريبة و لا إنسانية "(6)

و بهذا استعمل ماركس مفهوم الاغتراب لوصف اللاإنسانية التي تنجم عن تطور علاقات الإنتاج في المجتمع الرأسمالي كما إن قهر الاغتراب عند

ماركس مرتبط بزوال الملكية الخاصة لأنه أرجع ظهوره إلى الجوانب المادية في الحياة وأهمل الثقافية والفكرية والنفسية... الخ

عرف مصطلح الاغتراب تناوولا كبيرا في الفلسفة الوجودية ، وهو يشكل موضوع خصب للدراسة عند أعلامها و يعد الفيلسوف كير كيجارد (1813-1855) أبو الوجودية على الرغم من أنه لم يستعمل لفظ الاغتراب ، إلا أنه كان شائعا في فكره فقد تعرض "لقضية الاغتراب من خلال نقده لضياح الفرد في داخل الحشد لفقدانه لتفرده و حرية" (7) و هذا يؤدي - حسب رأيه - إلى التضحية بالفرد من أجل قوة مجردة و هي المجموع ، و تختلف نظرة الوجودية المؤمنة عن الوجودية الملحدة للاغتراب و التي ترى بأن قهره يتم بالتسليم بالدين المسيحي . أما الوجودية الملحدة" فان الاغتراب عندها ميثاق يفي الأصل و ليس مرتبط بالوجود العيني في جوهره بل مرتبط بطبيعة خلق الحياة" (8). وأن الإنسان مهما حاول قهره فإنه لن يستطيع، و"هنا يجد الإنسان نفسه مدفوعا إلى الأخذ بأحكام الناس و التمسك بالأراء العامة الشائعة فتصبح حياته صورة من صور المجموع و يستحيل وجوده الذاتي إلى وجود مبهم" (9). وبذلك يقضي على وجوده الأصل و يتنازل عن حرية و تفرده.

يفرق هيجر بين نوعين من الوجود الإنساني و هما الوجود الأصيل Authentique و هو الذي تكون فيه الذات قائمة بنفسها و مسؤولة عن ذاتها، و الوجود المزيف Inauthentique وهو الوجود الذي تميل فيه الذات للآخرين و تنغمس في المجتمع فالمبدأ الذي تقوم عليه الفلسفة الوجودية يتمثل في أسبقية الوجود للماهية ، حيث يرى جون بول سارتر "أن كل إنسان يحدد نفسه من خلال مشروعه و أننا نصبح ما نحن عليه من خلال أفعالنا" (10) ، كما أن الفيلسوف الوجودي لديه نظرة عدمية فهو ينظر للوجود على "أنه ينبثق من العدم و الإنسان كائن ملقى في العالم ، و لا شيء أكيد في مصيره سوى الموت (11)

فسارتر يؤمن بحرية الإرادة و يرفض الحتمية و الجبرية، ويفسر الاغتراب بانعدام الحرية الإنسانية حيث الإنسان يغترب عن ذاته بخضوعه لقوانين الآخرين و إن كان غير مقتنع بها، فالأخر إن مصدر اغتراب بالنسبة للوجوديين وتؤكد هذه النظرة مقولة سارتر " بأن الجحيم هم الآخرون" (12) فينظر للأخر على أنه عقبة في طريق حرية.

لقد استخدم سارتر الاغتراب فيما يتعلق بظاهرة معايشة الفرد لذاته على نحو ما تنتظر إليه ذات الآخر كموضوع، كذلك بالنسبة للآخر فذلك سمة الذات⁽¹³⁾.

مما سبق نستشف أن الاغتراب عند الوجوديين ثلاثة أنواع :

أولاً : الاغتراب عن العالم وعن الآخرين

ثانياً: الاغتراب عن الذات

ثالثاً: الاغتراب عن الله عند الوجودية المؤمنة

ومن أهم مشاعر الاغتراب الوجودية والعبث وهو " تصادمه مع قوانين هذا العقل المحدود معرفياً " ⁽¹⁴⁾ و الألم والقلق والتمرد الوجودي واليأس

لقد تتبعنا مفهوم مصطلح الاغتراب في الفكر الغربي و فيما يلي سنتعرف على معناه في الفكر العربي .

في الفكر العربي:

قد أشرنا سالفاً إلى أن الاغتراب زمني اجتماعي ، لا يخلو منه دهر ولا تخلو منه أمة، وإن تباينت أسبابه و مظاهره من زمن لآخر ومن حضارة لأخرى بل من شخص إلى شخص ، ولما كان العرب أمة من الأمم ، ونحن بصدد دراسة رواية عربية متمثلة في سوناتا لأشباح القدس – لواسيني الاعرج – فقد توجب علينا أن نقف عند مفهوم الاغتراب في الفكر العربي

لقد ورد مصطلح الاغتراب في حديث نبوي فيه امتداح لغربة أهل الإسلام، قال رسول الله -ﷺ- : "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوباً للغرباء " ⁽¹⁵⁾ كان الإسلام غريباً في عهده لأنه لم يلاقي الإقبال و النصره ثم زالت غريبته بدخول الناس فيه أفواجا ، وسيعود غريباً في آخر الزمان حيث يصبح الناس الذين يتمسكون بتعاليم الإسلام قلة غرباء داخل مجتمعاتهم .

و الاغتراب عند الباحث "فتح الله خليف" من خلال هذا الحديث هو ثلاثة أنواع الاغتراب بين الناس وهو أدنى درجات الاغتراب ثم اغتراب المؤمنين بين المسلمين و أعلى درجة و أوحشها في الاغتراب هو اغتراب العلماء بين المؤمنين⁽¹⁶⁾.

إن الدين الإسلامي يدعو للناس إلى الغربة بمعناها الإيجابي لأن الدنيا ليست بدار مقام بل هي محطة عبور للدار التي خلقوا من أجلها و في الحديث النبوي الشريف تأكيداً لهذا المعنى " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " ⁽¹⁷⁾

وقد عانى الكثير من المفكرين والفلاسفة العرب من ضروب لاغتراب في حياتهم "فالتوحيدي" مثلا كان اغترابه وجودي يصف تجربة حية معيشة فقد ذاق الفقر والحاجة والعوز في وطنه فكان أغرب الغرباء "وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه" فالكثير من أسئلته تنم عن عقلية وجودية فقد ميز بين نوعين من الغربة، غربة مكانية مرهونة بالانتقال والارتحال وغربة نفسية وهي الغربة الحقيقية، غربة دائمة عميقة فالغريب هو الذي يحمل غربته داخله وقد عبر عنها بقوله "وقد قيل الغرب من جفاه الحبيب، وأنا أقول بل الغريب من واصله الحبيب بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من نودي من قريب" (19)

فقد كان مثال للمثقف المغترب في مجتمعه فالتوحيدي شخصيته وجودية تتسم بطابع درامي حاد مليئة بالتناقض مشتتة الذكاء فقد ختم حياته بموقف أقل ما يقال عنه موقف عبثي عدمي عندما قام بإحراق كتبه في آخر عمره، وكأنه يحرق ذاته فما كتبه إلى قطعه من ذاته.

و الأمر كذلك بالنسبة "لابن طفيل" الذي جسد اغتراب الإنسان في قصته حي ابن يقضان، فقد التحم فيها حي بالطبيعة ليتخطى الغربة حتى يصل إلى حقيقة معرفة الله.

الاغتراب والأدب:

لا شك أن الاغتراب يحضر أيضا في الأدب فالتميز والإبداع في حد ذاته اغتراب وهو سمة المبدعين، فالمبدع هو اقرب الناس لشعور الاغتراب و عليه فإن "كل عمل أدبي أو فني لابد أن نعثر فيه على جذور الاغتراب" (20) فهناك العديد من النماذج يتعذر حصرها تحمل مفهوم الاغتراب فيمكننا أن نقرأ الاغتراب فالإلياذة والأوديسا التي صورت اغتراب الإنسان وضعفه أمام الطبيعة و نعثر عليه أيضا في مسرحيات شكسبير.

كما يمكننا أن نصف الأدب الوجودي بأدب الاغتراب فمعظم أعمال هذا الأدب تطرح أزمة الوجود الإنساني وهذا ما نجده في رواية الغريب لألبير كامي Albert Camus، التي تطرح تساؤلات مرتبطة باغتراب الإنسان الذي لم يعد باستطاعته فهم الحياة، وأيضا نجده في رواية البؤساء لفكتور هيغو، وفي العديد من الروايات.

والأدب العربي ليس بمنأى عن ظاهرة الاغتراب الذي يشي كثيرا من الأعمال الأدبية الشعرية منها و النثرية فيعد الاغتراب موضوعا بارزا فيه،

شأنه شأن مختلف أوجه النشاط الإنساني ولو أن "موضوع الاغتراب في الأدب جديد نسبياً" (21). فقد عالج الروائيون الظاهرة في روايتهم من خلال أبطال عادة من المثقفين، فظاهرة الاغتراب مكانها في الرواية باعتبار الرواية هي أنجح المقاربات الاجتماعية بوصفها حاملاً اجتماعياً في طبيعتها الإبداعية، فالروائي العربي أخذ على عاتقه تصوير أثار ظاهرة الاغتراب بشقيه المكاني و النفسي، و كأمثلة على بعض هذه الروايات رواية "ما تبقى لهم" للروائي الفلسطيني غسان كنفاني و هي نموذج لمعاناة أحد الأسر الفلسطينية التي تشردت، و رواية الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال" التي يعيش فيها البطل مصطفى سعيد في بريطانيا مغترباً، وعند عودته إلى وطنه أحس بالاغتراب عنه فاختر الانتحار.

وإذا انعطفنا نحو الشعر فانه لا يخلو من مشاعر الاغتراب، فالشاعر أسرع من غيره للإصابة بهذا الداء، لأنه يتمتع بقدر عال من الحساسية و التوتر و الرفاهية على حد تعبير ابن رشيق: "يشعر بما لا يشعر به غيره" (22) ولاشك أن اغتراب طليعة الشعراء في هذا العصر قادهم إلى محاكاة الرومانسية الغربية، ويستوي في ذلك شعراء الوطن العربي و الشعراء العرب في المهجر، فاتخذوا الليل أنيساً و اعتزلوا المدنية، و تغنوا بالألم و صار الحزن نديماً لهم، فوجد الشاعر الرومانسي نفسه في عالم مقفر تراجعت فيه المثل الروحية، وافترقت أواصر الحب الإنساني الذي يتشوق إليه فعانى من الاغتراب أيما معاناة "فالشاعر العربي عندما يتحدث عن الاغتراب فإنه يشكو مجتمعه و تقاليده وسيطرة هذه التقاليد على الذهنية الاجتماعية وقد يشكو الحرية في عالم يدعي الحرية" (23) في كثيراً من مظاهرها و هو يدفع إلى التقاطع أو التعارض بين الشاعر و مجتمعه فكرياً و اجتماعياً و سياسياً يقول أبو القاسم الشابي:

يا صميم الحياة كم أنا في الدنيا غريب أشقى بغربة نفسي
غريب بين قوم لا يفهمون أناشيد فؤادي ولا معاني بؤسي (24)

و يمثل شعر بدر شاكر السياب و نازك الملائكة و عبد الوهاب البياتي نموذج القصيدة الواعية بقضايا الوجود الإنساني فهي تعبر عن مظاهر الغربة من عزلة و شكوى و تطلع لمثال غير موجود.

أولاً: الاغتراب السياسي

يعد الاغتراب السياسي واحد من أكثر أنواع الاغتراب شيوعا في المجتمع المعاصر بوجه عام و المجتمعات العربية بوجه خاص، وتبدوا مظاهره في العجز السياسي الذي يشير إلى أن الفرد المغترب ليس لديه القدرة على أن يصدر قرارات مؤثرة في الجانب السياسي .

يعرف "لونج" الاغتراب السياسي بأنه "حالة من الشعور بعدم الرضا، وخيبة الأمل"⁽²⁵⁾ ويرى أن مشاعر الاغتراب تضم خمسة مكونات وهي الشعور بالعجز و الاستياء و عدم الثقة و الغربة و اليأس.

كما يمكن تقسيم الاغتراب السياسي إلى قسمين رئيسيين

1- الاغتراب الإرادي: ويكون هذا الاغتراب لمهمات مؤقتة و العودة إلى الوطن مثل الاغتراب بعقود عمل خارج الوطن من أجل تحقيق أهداف خاصة للمغترب، أو الاغتراب من اجل السياحة أو الاغتراب لتمثيل الوطن كعمل السفراء و البعثات الدبلوماسية.

2- الاغتراب اللاإرادي: يصنف تحت النفي عن الوطن، ويعتبر هذا الاغتراب من أقسى أنواع العقوبات على الإنسان، وهذا ما حدث في فلسطين حيث تم تهجير شعب من أرضه قسرا وفرض عليه الاغتراب عن وطنه بقوة⁽²⁶⁾ وهو ما يحاول الأديب أن يطرحه في الرواية التي نحن بصدد دراستها، فالحس الاغترابي الوطني و السياسي فرض على "مي" الشخصية الرئيسية منذ تقجر الصراع العربي-الإسرائيلي نتاج اغتصاب فلسطين من قبل العصابات اليهودية عام 1948، فانطلقت الهجرة و الاغتراب عن الوطن فلسطين إلى أمريكا ومثال ذلك من الرواية ما جاء على لسان والد مي يوضح لها سبب هجرتهم من بلادهم: "بلادنا ضاقت يا مي و لم يعد يوسعنا البقاء فيها، جزء منها أخذ بالقوة و الجزء الآخر سيؤخذ بالسياسة و التقسيمات و سيشرّد السكان على المعمورة هيك مصيرنا يا بنيتي يمكن تكون نيويورك أرحم من أرضنا و ناسها أقل لؤما ممن طردنا من أرضنا"⁽²⁷⁾

إن الكاتب ضمن هذا المقطع بعدا سياسيا عميقا ينساب بشكل سلس أخذ يضمه المؤلف زخما من الدلالات و الإيحاءات المعبرة عن مأساوية اللحظة في واقع الإنسان الفلسطيني وفي مكان آخر يقول: "لسنا أول من يهاجر إلى نيويورك و لا آخر من يفعل ذلك"⁽²⁸⁾، لا يوجد في التاريخ الحديث جريمة توازي جريمة تهجير الفلسطينيين من ديارهم في 1948، والتي أطلق عليها لاحقا نكبة فلسطين، فقد استخدمت العصابات الصهيونية شتى الطرق و الوسائل لاقتلاع الفلسطينيين من أرضهم و التي أدت إلى تهجيرهم بشكل قسري خارج

ديارهم الأصلية "خرجت لأحفظك من تلف الموت المجاني الذي لم نورث غيره للأجيال المتعاقبة"⁽²⁹⁾، رغم عمق المأساة و المعاناة الإنسانية التي بدأت تشكل ملامح حياة الفلسطيني بعد النكبة، فقد اعتمدت الرواية على عنصر المبالغة في التصوير و المعالجة و تقديم المادة الإبداعية بشكل رومانسي مع محاولة الولوج إلى أعماق و أحاسيس الشخصيات و معاناتها، وما يختمر في بواطنها من صراعات جسدها (شكوفسكي) في رؤيته حيث تحدث عن دور الأدب في فهم الحياة و استيعابها و التفاعل معها بقوله "اللون الأدبي هو الكريستال الذي من خلاله تتم عملية تحليل الحياة"⁽³⁰⁾ وعرضها بدرجة عالية من الوعي.

الرواية جاءت لتكريس رحلة البحث عن مأساة الإنسان الفلسطيني في رواية الغربة والاعتراب و الحلم بالعودة بامتياز، رواية مؤثرة و موجعة يتطرق فيها الروائي إلى الأسئلة الشائكة التي يعاني منها الفلسطيني داخل و خارج فلسطين الراهنة، ولهذا يأتي موت الإنسانية الفلسطينية في منفاها البعيد في نيويورك تعبيراً قدس عربية محتضرة، كما لو أن مصير القدس قد التبس بمصير أبنائها الفلسطينيين لذلك "الاعتراب ليس نتيجة وحسب، بل هو نتيجة و سبب في آن واحد وذلك لأن ممارسة القمع و الإرهاب ظاهرة اغترابية في حد ذاتها"⁽³¹⁾ ومما لا شك فيه أن الإنسان الفلسطيني يعاني وبواجهه الخوف من الاستعمار ومن الصهيونية، ويصاحب كل خوف ألوان من القهر و القمع و الإكراه.

إن من يقرأ الرواية يشعر بثقل الإحساس بالاقتلاع و عدم الاستقرار و الغربة و الضياع فنجد العربي الفلسطيني يحمل عبء جراحه ونشرده وعبء ماضيه بذكرياته و أحزانه⁽³²⁾.

فشخصية مي تصور مأساة شعب بأكمله إذ يتحدث الكاتب عن الفلسطينيين أكثر ما يتحدث عن القضية الفلسطينية، فهو ينظر إلى الأمر نظرة تحليلية تحاول الإجابة عن الكثير من الأسئلة، لماذا حدث ما حدث؟ وفي الوقت نفسه رصد لهذا الاعتراب المأساوي على مدار كل هذه السنوات بعيداً عن الخطاب السياسي الذي وظفه توظيفاً إنسانياً.

فالحزن يخيم على الرواية فهي مبنية على هم إنساني غائر، حاولت الخروج من الخطابات الجاهزة النمطية، كما يمكن أن نشير إلى نقطة أخرى أن واسيني الأعرج يطرح أسئلة معقدة وراهنه تتعلق بالحق الإنساني في الحياة والموت على أرض الطفولة و الأجداد؟ فرغم أن حق العودة ثابت و شرعي، لكن أشكال العودة تتجاوز المستوى السياسي إلى مستواه الإنساني "ما الذي

يخيف الناس من أن تدفن في أرضك ؟ هل صارت حتى جثتنا مخيفة إلى هذا الحد ؟ يبدو أنهم يرأفون علي من الصدمة أكثر من خوفي على نفسي ، أعرف أن القدس لم تعد قدسي ، لقد سكنتها أشباح كثيرة لم أعد أعرفها ، ولكن أي قانون هذا الذي يحرم إنسان من رؤية أرض نبت فيها وعجن من تربتها وشمسها أكثر ذاك الذي سرق الأرض ، ثم جلس وراء مكتب وثير وبدأ يصدر فتاوى الأمر و النهي»⁽³³⁾ حين اكتشف يوبا ابن مي الفلسطينية الجوز ، وهو يزور القدس لنذر رماد أمه اندثار المكان و مسح جوانب مهمة منه ، شكلت ذاكرة والدته ،إن المسألة كانت أعقد مما تصوره ،فلسطين ليست أرض فقط ، ولكن ذاكرة لم تعد هناك إلا أصدائها وأشباحتها التي تتكاثر باستمرار ماذا لو عادت مي إلى مدينتها التي تركتها منذ نصف قرن هل كانت ستعرفها ؟ هل ستبقى ؟ كما عاد الكثيرون ولم يجدوا الأمكنة المخبأة في داخلهم واكتشفوا أنه تحول إلى عالم ذهني أو هو ما يشكل صدمة للعائد.

إن الرواية لا تمس مسألة العودة بالمعنى السياسي المباشر رغم وجوده ،ولكن مآل البشر سرق منهم حق العيش و الحلم في الأرض التي بنيت عليها طفولتهم المسروقة ، وبذلك استطاع المؤلف بهذا العمل أن يطوف فوق الحواجز السياسية و الارتفاع بها فوق التقاليد مستقطبا مشاعر الإنسانية

ثانيا : الاغتراب النفسي:

على الرغم من شيوع مفهوم الاغتراب النفسي ،فإنه من الصعب تخصيص نوع مستقل نطلق عليه الاغتراب وذلك نظرا لتداخل الجانب النفسي للاغتراب بجمع أنواع الاغتراب الأخرى السياسي، الاجتماعي، الفكري...الخ

فالاغتراب النفسي مفهوم عام و شامل يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للانشطار حيث اختلف الباحثون في إعطاء تعريف للاغتراب النفسي كل حسب وجهة نظره ،فمنهم من يرى بأنه : "حالة نفسية يشعر الإنسان من خلالها بانفصاله عن الآخرين و عدم الانسجام معهم"⁽³⁴⁾ وعدم الانتماء إلى المحيطين به.

ويرى أيركسون أن الاغتراب النفسي هو عدم الشعور بتحقيق الهوية و ما ينتج عن ذلك من أعراض "الفرد الذي لم تحدد هويته يعد مغتربا"⁽³⁵⁾ لذلك فإن الاغتراب يحدث خلال أزمة الهوية التي يبحث فيها الفرد عن ذاتيته.

وهو أيضا ما "يتعلق بما يحدث للفرد اضطرابات نفسية و عقلية، و ما يستشعره من غربة في العالم وفتور أو جفاء علاقته بالآخرين"⁽³⁶⁾. وهذا النوع

من الاغتراب غالبا ما يكون نتيجة طبيعية للغربة المكانية وما يترتب عليها من إحساس بالفقد و الضياع.

يبدو أن الأديب "واسيني الأعرج" جعل من روايته مرآة صادقة تعكس مظاهر الحياة المضطربة في فلسطين خلال زمن النكبة ، حيث أنه واكب جميع الأحداث و عبر من خلال شخصية مي على مكونات النفس الفلسطينية القلقة و الحزينة ، المتأثرة بالأوضاع السيئة التي آلت إليها البلاد.

إن رواية "سوناتا لأشباح القدس" مسكونة بهاجس الذاكرة والعودة إلى الماضي بحثا عن هوية ضائعة و من خلال الملامح العامة للرواية يظهر أن (مي) لا تتحرر من تفاصيل تراثها الثقافي ، وهي تؤكد على هويتها الفلسطينية العربية وتتمسك بها، ويمتلئ قلبها بالحب و الحنين و العطش وتشتد علاقتها بثقافتها مع تطور أحداث الرواية من خلال قلقها الدائم ، والتماهي مع الوطن في مشكلاته المستعصية.

لقد تجلت غربة (مي) في حنينها الدائم إلى وطنها في مواضع كثيرة من الرواية كم في قولها : "بالضبط هذا ما كنت أريده وأبحث عنه طوال السنوات التي انقضت فراشات القدس، هكذا أسميه، لقد نشأ من تمزقي وأشواقي الطفولية" (37) فهذا الحنين هو امتداد من الطفولة تحمله (مي) بداخلها

وفي موضع آخر تقول "بي شوق كبير لعالم لم يعد قائما، فقد نهب مني على مرأى من كل الدنيا لقد تضاعلت رغباتي وأصبحت أفرح للنزر القليل و للسعادة الصغيرة، لم تعد لدي مطالب أخرى كبرى أشتهي فقط أن بيعثر رمادي على مياه نهر الأردن، ربما وجد طريقه نحو جنور هذه الأرض، وفي أحياء القدس العريقة التي عجنت طفولتي" (38) فكل أمانيتها تختصر في وصول رمادها إلى مكانها الأول القدس حتى تقهر اغترابها الذي دام كل هذه السنين .

ولم تسرقها الغربة من الوطن وهي الرسامة ذات الموهبة فقد كانت ترسم كل ما يتصل بالقدس، لذا نجد لوحاتها التي تحدثت عنها في الرواية، كانت تمثل مدينتها التي نشأت فيها إلى غاية ثمان سنوات ومرجع ذلك إحساسها بالاغتراب، مما جعلها نفسيا متصلة بالوطن وهي التي تقول : "شيء ظل يملأ ذاكرتي وحضورى و أنا لا أعرف بالضبط مصدره الحقيقي ، شيء اسمه عدوى الأرض" (39)، في كل لوحاتها غيمة هي القدس الحاضرة في كل هذه اللوحات.

رغم رفض العدو عودتها إلى الوطن إلا أنها لم تستطع أن تنساه ، ونجد ملامحه تتجسد في لوحاتها ، ولذلك قررت العودة إليه عن طريق المحرقة حتى تعود رمادا إلى وطنها لتقمع الاغتراب الذي أكل منها كثيرا "لقد قررت أن أمحن

جسدي للمحرقة لأرتاح نهائيا من شطط ثقيل لم أعد قادرة على تحمله و أنا لا أدعو الآخرين إلى السير في مسلكي . أكبر محرقة يعيشها المرء هي أن تسرق منه أرضه ويرمى على حواف المبهمة. الناس لا يدرون أننا لا نعود إلى أرضنا الأولى لنموت فيها فقط، ولكن لنعيش جزءا جميلا من العمر ، ونشم تربتها ورائحة شرفاتها المعلقة في الهواء تستقبل النسائم التي تأتي من وراء سواحل البحر الميت لا نعود إلى تربتنا الأولى لنؤين أنفسنا ونبحث عمن يدفننا⁽⁴⁰⁾ وهذا ما كانت مي تريده وتنتشه ، أن ترجع إلى أحضان وطنها ومدينتها القدس لتتخلص من ألم الاغتراب وهي التي كانت تعاني من قسوة النفي في الخارج وعذاب الحنين إلى الوطن، فالوطن الذي كانت تسكنه صار يسكن فيها تحمله أينما ارتحلت

ثالثا: الاغتراب المكاني:

يلعب المكان في الرواية التي تتناول القضية الفلسطينية دورا وظيفيا واضحا ، وفي تفكير العديد من الشخصيات الروائية واهتمامها، ويتخذ معاني ودلالات ورموزا متنوعة ارتبطت بمراحل الصراع العربي الصهيوني، والزمن الفلسطيني في صعوده و هبوطه ، فكان مسرح الأحداث الروائية في كثير من الأحيان يجري على أرض فلسطين.

من هنا تمثل القدس في هذه الرواية العصب الدلالي للعشق فهي نقطة الانطلاق وحلم العودة، في هذا المسار المكاني ، تكمن البؤرة الدلالية للعشق، لأن القدس بوصلة لتحديد ملتقى الحلم والمصير، كما أن الغياب القسري في المنافي لا يمنع الأرواح من أن ترفرف في أجواء القدس حيث تقول مي : "أتمنى فقط أن أفتح ذراعي علي وسعها وأوقظ كل حواسي للإصغاء الجيد وأغمض عيني و أستمع إلى الأصوات التي تأتي من هناك من تلك النقطة بالذات التي لا يراها أحد غيري ، أتلامس النداءات التي تنام في قلب الناس منذ عقود .أتمنى أن أرحل ولو بروحي، وأخذ حفنة من تراب القدس وأشمها ثم أزرعها على الفراش و أتوسدها كأبي درويش مأخوذ بسحر مبهمة. أحلم أن أقطف كل نجوم الدنيا و أرصع بها كل زوايا المقدس وقبر أُمي"⁽⁴¹⁾.

ولأن الروح التي تسكن القدس أسمى من التصنيف الطائفي فقد جمع الروائي بين التاريخ الإسلامي و المعالم المسيحية حيث تقول مي: "لا أدري من أين جاءتني هذه الصور المبهمة من القرآن؟ من العهد القديم؟ من الأنجيل الطيبة؟"⁽⁴²⁾ الكاتب يتخذ من القدس إطارا مكانيا مشبعا بالإحياءات لأن ارتباط الإنسان بمكان ما لم يعد انتماء جغرافيا أو وطنيا بل أضحي حالة نفسية وجدانية.

إن رواية "سوناتا لأشباح القدس" هي في الحقيقة رواية القدس تبدأ هذه الرواية بهجرة قسرية وتنتهي إلى مدينة مقدسة ضائعة ، ففي هي رمز القدس تحمل أجمل ذكرى و أعلى تاريخ وصورة تحضرها في الغربية فروحها تتسحب إلى أجواء القدس : "شممت رائحة القدس وحليب أمي و أحسست بطعم القهوة المسائية على لساني ، كان الضباب يلف المكان الذي نزل عليه البرد فجأة ، عندما أغضمت عيني وجدنتي أدور في الحارات القدسية حارة حارة ، و بابا بابا ، الحرم القدسي الشريف وقبة الصخرة و المسجد الأقصى مع باب الرحمة الذي لا أدري ماذا بقي منه اليوم" (43) ففي يطفو عليها إيقاع الحنين إلى المكان المفقود وإلى الماضي بكل ما فيه ، و الإصرار المباشر على العودة إلى الأرض و التماهي معها "أريد فقط أن أشم رائحة هذه الأرض من بعيد . أن ألمسها بشفتي ورؤوس أصابعي" (44)

تحكي هذه الرواية عن روح فلسطين و عن شعب أرادوا اقتلعه عن أرضه وتشريده ونفيه وتصف حالة الاغتراب التي يعيشها كل فلسطين خارج أرضه ، لا يستطيع أي منا أن يعيش تجربة هذا الإحساس وهنا تصف مي إحساسها بقولها: "هل يعلم الذين لهم وطن قسوة أن تكون أرضك على مرمى حجر ، ولا تلمسها حتى بعينيك ؟" (45) إن الكاتب هنا يعطي الوطن بعدا نفسيا وأكثر وقفا عند آلام مي التي تجسد ألم الإنسان الفلسطيني

الكاتب يتعامل مع المكان تعامل الموثق أو الطوبوغرافي ، وذلك بتمثيل دقيق للمكان بعناصره الطبيعية و البشرية فكل اسم يحمل دلالة معينة ، وهو يقصد أمكنة بعينها محددة جغرافيا أو طوبوغرافيا "وفي شارع يافا نفسه شاهدت تجمعاً يهودياً مؤطرا بجنود الهاجاناه في حالة هياج شديد كانوا متجهين شرقا للهجوم على المناطق العربية ولكنهم منعوا من بعض زعمائهم و الجيش البريطاني ، فأحرقوا سينما ركس في شارع البرنسيس ماري وبعض مخازن التجارة ، خلف عمارة ميخائيل مخلوف من بيت جالا" (46) إن مثل هذه الصور للمكان تتكرر في أكثر من موقف داخل النص فهي تمثل صور هندسية بتفصيلات دقيقة عن المكان و محتوياته مما يعني تحكم القبضة الاغترابية على الشخصية فهي تذكر أدق التفاصيل حيننا إلى كل ما يربطها بهذا المكان

واسيني الأعرج يمزج في ضفيرة واحدة بين ذاكرة القدس و تاريخها وحبها ، فالدلالة تتوجه نحو الاحتلال الذي أغلق أبوابها و مداخلها ، ومنع الفلسطيني من دخولها ، ما جعله يعيش في اغتراب مفروض عليه ، لقد امتلأ كل شيء في الوطن بحضور الذكرى و استجلاء الذاكرة ، فإذا أنيطت الذكرى بالقلب فهيهات أن يسلو عن أحب ، لأنها دخلت في تلافيف كينونييه وسويداء

كيانه و ذاكرته حيث أن" الذاكرة بدل أن تعكس في علاقاتها ترتيبا تسلسليا مطردا تمتزج بالمخاوف و الآمال و الأمنيات و الخيالات التي لا يمكن تذكرها كواقع فقط ، بل إن الوقائع هي في تعديل مستمر ، يعاد تفسيره من جديد في ضوء مقتضيات الحاضر، و مخاوف الماضي وآمال المستقبل"⁽⁴⁷⁾ لذلك بقيت ذاكرة الفلسطيني بأجياله المتتابعة مشدودة إلى المكان / القدس .تخزن سفر النكبة وتستعيد حكايتها في البعد و المنفى و الغربة بالرغم من انشطار القلب.

تقول الأسطورة الإغريقية أن طائر الفينيق طائر خرافي، يعيش خمس مئة سنة و عندما يقترب موته يحضر محرقته ويحرق نفسه ليولد من رماد مرة أخرى وفي ذلك رمز إلى التجديد و النهوض وهو نفس الطريق الذي اختارته مي لتقهر اغترابها المكاني وتتصل بأرضها عن طريق رمادها لتحقيق هذا التجدد و التواصل وتحقيق رحلة العودة البعيدة بمعناها و فحواها ، و بالتالي فإن هذه الطريق تحل لها أزمة الحنين المتعاطمة يوما بعد يوم وتحل ما ينبثق عن هذه الأزمة من تجليات الاغتراب وتمظهراته.

ومن منافع ألم الغربة في الرواية ، ذلك الألم الذي يفجر الكبت و الضجر والحنين و الشوق لرائحة التراب و الأرض ، الألم الذي فجر القلم والموهبة والخيال ، لأن الغوص إلى الأعماق يصبح أكثر دفعا للتأمل والتفكير ،فالكتابة في بلد الاغتراب تقاوم الموت " الكتابة شيء خطير أكثر من مجرد كلمات مرصوفة في خط مستقيم ككتيبة عسكرية منضبطة ، تخبي كل هزائنها في صرامتها المبالغة، هي القدرة على كسر أعناق الموت"⁽⁴⁸⁾ فالكتابة عند مي تتحدى الموت" فكرت أن أنسى الموت بشهوة الكتابة"⁽⁴⁹⁾ وبهذا تكون قد عبأت جزءا من الفراغ والوقت الضائع من عمرها لتعطي أي شيء لتشعر أنها موجودة

إن الإحساس بالغربة خارج الوطن لا يتوقف عند مجرد الحنين إليه والحلم بالعودة أو العمل من أجله و إنما يرافقه صراع و ردود فعل داخل النفس الإنسانية، قد تنتهي بها إلى أي مظهر من مظاهر الاغتراب الروحي أو النفسي.

رابعا /الاغتراب الفكري:

إن الاغتراب الفكري الزمني ينفصل فيه الفرد عن الزمن الحاضر خاصة ،و قد سلكه "واسيني الأعرج " لتوضيح ذلك عن طريق بيان الحنين إلى الزمن القديم بعاداته و تقاليده وعلاقاته و أماكنه مي الشخصية المحورية تتمنى العودة إلى الزمن الماضي للحصول على الراحة والطمأنينة التي افتقدتها في الزمن الحاضر " يا ، يوبا جعلتني أسافر بعيدا و رأيت الذي لا يرى في الحالات العادية

، لقد رأيت الآن كل الذين أحبهم، ولم يعودوا بيننا و أمكنة لم تعد اليوم إلا أصداء في الذاكرة . نطن أننا صنعنا مقابر لأشواقنا ولكننا نتفاجأ أن ما تخيلناه مقابر لم يكن إلا محطات للراحة إذ تعود أشيائنا الدفينة دفعة واحدة في اللحظة التي لا نجد لها اللغة المناسبة التي تحركها من سكونها و موتها⁽⁴⁹⁾

وينتقد الزمن الحاضر أحيانا بطريقة غير مباشرة ،حيث تعقد الشخصية الرئيسية مقارنة بين الماضي و الحاضر من خلال تذكرها شخصية الأجداد و استعراض سريع لحياتها حيث تقول: "قضيت وقتا كبيرا في قراءة مسارات جدي كلها ، من أندلسه الجميلة ، إلى حزنه على حروب الطوائف حتى استقراره في طليطلة لأنها كانت خارج هذه الحسابات كلها ، تمنيت أن أقرأ عن شجرة العائلة التي حدثني عنها والدي ، ولكنها كانت هناك حيث الأرض مسروقة ، ربما تكون قد أحرقت مثلما البشر من كثرة الإهمال"⁽⁵⁰⁾. مي تعاني الغربة عن الوطن الحبيب، فصورة الموت التي رسمها الكاتب تتوافق مع الجو الكئيب الذي تعيشه مي وتخلعها على أيامها.

عكست الرواية ظاهرة الاغتراب بأنماطها المتنوعة فكانت خبر معبر عن الأوضاع المضطربة التي تعيشها فلسطين، كما صورت معاناة المغترب بأدق التفاصيل ، فشخصية مي هي شخصية اغترابية عانت الاغتراب السياسي أولا و الاغتراب المكاني ثانيا مما أدى إلى الاغتراب النفسي و الفكري و هذا جراء الانتقال و الانفصال عن الأرض والوطن.

إحالات الدراسة:

1. ينظر محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية للطباعة ط الإسكندرية، مصر، 2009، ص18.
2. جسد الثقافة :الفكر والفلسفة (إيديولوجيا، تيارات) مفهوم الاغتراب لدى هيجل www.aljsad.net 12:05، 2012/29/11
3. عبد القادر عبد الحميد زيدان :التمرد والغربة في الشعر الجاهلي ،دار الوفاء للطباعة والنشر، د ط، الإسكندرية، مصر، دت، ص 15 .
4. سمير بركات :الاغتراب بين ابن باجة و ابو حيان التوحيدي 2012/02/01 www.kotobarabia.com 20.38
5. روجيه غارودي، الماركسية، تر: محمد الأمين بحري، دار الحكمة، د ط، الجزائر، 2009، ص12.
6. روجيه غارودي الماركسية: ص96.
7. فيصل عباس: الاغتراب (الإنسان المعاصر وشقاء الوعي) ،دار النهل اللبناني، ط 1 بيروت ،لبنان، 2008، ص258.

8. كاميليا عبد الفتاح : الشعر العربي القديم ،دار المطبوعات الجامعية ،د.ط، الإسكندرية ،مصر ،2008،ص 11.
9. فيصل عباس : الاغتراب (الإنسان المعاصر وشقاء الوعي) ص 262.
10. المصدر نفسه : ص 256.
11. سالم بيطار: اغتراب الإنسان و حريته ،المؤسسة الحديثة للكتاب ،د.ط،طرابلس،لبنان ،2003،ص 79 .
12. منظر :كاميليا عبد الفتاح : الشعر العربي القديم ،دار المطبوعات الجامعية ،د.ط،الإسكندرية،مصر 2008.
13. ينظر:فيصل عباس: الاغتراب (الإنسان المعاصر و شقاء الوعي) ص 273.
14. كاميليا عبد الفتاح :الشعر العربي الحديث.
15. أخرجه الإمام مسلم و الإمام أحمد و ابن ماجة،نقل عن ابن القيم الجوزية ،مدارج السالكين ،دار الكتاب العربي،د.ط،بيروت لبنان:ج 3،1978،ص 198.
16. ينظر: فاطمة طحطح:الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي منشورات كلية الآداب،ط 1،الرباط،1993،ص 33 نقلا عن فتح الله خليف،مجلة عالم الفكر.
17. أبو حيان التوحيدي :الإشارات الإلهية :تحقيق و تقديم عبد الرحمان بنوي ، دار القلم ،د.ط،بيروت ،لبنان،1981،ص 80.
18. أبو حيان التوحيدي :الإشارات الإلهية ص 114.
19. المصدر نفسه : ص 114.
20. إبراهيم محمود : حول الاغتراب الكفكاوي رواية المسخ نمونجا،مجلة عالم الفكر ،مج 15،ع 2،1984،ص 80
21. بسام خليل فرنجية :الاغتراب في أدب حليم بركات ،مجلة الفصول،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر،المجلد 4،ع 1، 1983 ص 207.
22. ابن رشيق ابو العلي الحسن القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و أدابه و نقده،تحقيق:محمد مخي الدين عبد الحميد،دار الجبل ،ط 5،بيروت،لبنان،ص 116 .
23. حسن الخاقاني:رموز الاغتراب و الغربة في شعر عبد الوهاب البلياني،www.kotobarabia.com 2012،20:38/12/01
24. ابو القاسم الشابي :أغاني الحياة ،الدار التونسية للنشر،د.ط ،تونس،1970،ص 171.
25. مدونة مازن: رسائل سياسية ،دنيا الوطن 2013/03/18 11:20
http://pulpit.alwatanvoice.com
26. ينظر:هبة خليل سعدي مبيض،اللاجئون الفلسطينيون بين الاغتراب و الاندماج السياسي (دراسة حالة مخيم بلاطة) النجاح الوطنية ،نابلس،فلسطين،2010،ص 31 .
27. واسنى الأعرج :سوناتا لأشباح القدس : ص 211.
28. واسنى الأعرج :سوناتا لأشباح القدس : ص 212.
29. المصدر نفسه ،ص 312.
30. فكتور شكوفسكي: النثر الفني (اراء و تحاليل)،تر:حسين جمعة موسكو،روسيا،1960،ص 40.
31. وطفة علي:المظاهر الاغترابية في الش في الشخصية العربية،مجلة عالم الفكر ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،الكويت،مج 27 ،العدد الثاني اكتوبر، ديسمبر 1998،ص 242.

32. ينظر: الرئيس رياض : الفترة الحرجة (نقدي ادب الشتات)،رياض الرئيس للكتب و النشر، ط 2 ،لندن، قبرص، 1992، ص 183.
33. واسني الأعرج :سوناتا لأشباح القدس، ص 75.
34. قيس النوري : الاغتراب اصطلاحا مفهوما وواقعا ،مجلة عالم الفكر، مج 10، ع 1، الكويت 1979، ص 18.
35. إجلال محمد سري، الأمراض النفسية الاجتماعية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، مصر، القاهرة، 2003، ص 114.
36. رجب محمود: الاغتراب سيرة و مصطلح ،دار المعارف ،د.ط الاسكندرية، مصر، دت ،ص 35.
37. واسني الأعرج: سوناتا لأشباح القدس، ص 83-84.
38. واسني الأعرج: سوناتا لأشباح القدس، ص 813.
39. المصدر نفسه، ص 412.
40. المصدر نفسه، ص 137-138.
41. المصدر نفسه، ص 386.
42. المصدر نفسه، ص 157.
43. المصدر نفسه، ص 387.
44. المصدر نفسه، ص 386.
45. المصدر نفسه، ص 389.
46. المصدر نفسه، ص 144 – 145.
47. جماته طه: موسوعة الأمثال الشعبية العربية، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، السعودية، 1999، ص 493.
48. واسني الأعرج: سوناتا لأشباح القدس ص 153.
49. المصدر نفسه، ص 131.